



لقد أدركت السلطات الإيرانية أن حليفها القديم في سوريا في طريقه للسقوط، وقد قاموا بعقد محادثات مع أعضاء من المعارضة حول النظام الانتقالي، وذلك وفقاً لتقارير وردت في صحيفة لوس أنجلوس تايمز.

وفقاً لهذا التقرير (الذي أعده بعنابة كل من رامين مستغيم وألكسنдра سانديليس)، فإن حكومة إيران لا تبدو راغبة، على الأقل حتى الآن، في قطع الأمور مع الأسد، ولكنها وبشكل تزايد، وعلى مضض، تتجه للاستنتاج بأن تلك الجهود التي بذلت لإنقاذه قد باءت بالفشل.

بالنسبة لأولئك المتخوفين من إمكانية اندلاع صراع أمريكي إيراني، وهذا يعني جميع المهتمين بالحرب والسلام وسعر الغاز والنفط في جميع أنحاء العالم، بهذه اللحظة تعتبر لحظة للحقيقة.

إن خسارتها لحليفها الرئيس في سوريا سوف يؤدي إلى إحداث تغييرات دراماتيكية بالنسبة لموقف إيران. ترى هل سوف يقرر الملالي الحاكمين وحلفائهم بأن الوقت قد حان لوقف المواجهة بسبب أن طهران في موقف ضعيف وأكثر عزلة من أي وقت مضى، أم هل سوف يضاعفوا حملتهم فيما يتعلق بالسلاح النووي ويتشددوا في اعتقادهم بأنه ليس هناك أي أمر آخر يمكن أن ينقذهم؟

بطريقة أو بأخرى، فإن مسار الحرب في سوريا سوف يساعد في تحديد ما إذا كانت الولايات المتحدة سوف تجد نفسها في حرب أخرى في الشرق الأوسط، ومراقبة الإيرانيين فيما يبدو دوامة فيما يتعلق بمصير الأسد إضافة إلى مراقبة أي حد سوف يزداد حجم هذه المأساة.

وإلى الآن فنحن لم نصل بعد لنقطة اتخاذ القرار. عند هذه النقطة يبدو أن الإيرانيين لم يتقبلوا تماماً بأن حليفهم لم يعد بوسعيه النجاة كما أن اللعنة في طهران حول سياسة سوريا لم ينته بعد.

يبدو أن الحكومة تحوم حول أمل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا الركام.

إن الخبراء والمسؤولين يتحدثون عن الحفاظ على "هيكل الدولة السورية" على أمل فرض حالة "أسدية" دون وجود الأسد ما يعني هيكل دولة يهيمن عليها العلويون يمكن أن تستأنف الاصطفاف مع إيران وتقوم في نفس الوقت بتقديم مساحة اقتصادية وسياسية أكبر للسنة المضطربين.

الوضع الحالي على الأرض لا يوحى بأن المعارضة السنوية يمكن أن تساوم على هذا الوضع، ولكن إذا استقر وضع الحكومة العسكري، فيبدو أن إيران تأمل في أن يزداد الضغط الدولي للدخول في مفاوضات ومساومات للتوصيل إلى حل. هذه الرؤية تبدو متطابقة إلى حد كبير مع رؤية روسيا للحرب. مثل طهران، فإن موسكو لا تريد رؤية سوريا الثائرة منضمة إلى الكتلة السنوية في الشرق الأوسط كما أنها تخشى من تصدير الجهاديين السنة إلى منطقة القوقاز المضطربة. ومثل إيران، فإن روسيا لديها استثمارات طويلة الأمد مع نظام الأسد، وذلك مع وجود عقود طويلة من العلاقات الاقتصادية القريبة والروابط العسكرية والإنسانية.

وترى روسيا في نفسها أنها الحامي للمسيحيين الأرثوذكس السوريين، كما إن إيران تريد حماية العلويين؛ وكلتا الأقليتين من الممكن أن تواجهها أوقاتاً عصيبة تحت النظام السنوي.

وسقوط الأسد سوف يوجه ضربة قوية لكلا الدولتين، ولكن إيران ستواجه مخاطر أكبر.

وكما لاحظنا سابقاً، فإن سوريا تعتبر نقطة بالغة الأهمية في التخطيط لإيران في الشرق الأوسط، كما إنها تعتبر حجر الزاوية في دول الهملا الشيعي الذي سعى إيران إلى إنشائه على امتداد الهملا الخصيب من العراق إلى لبنان.

إلى جانب أن سوريا كانت تشكل الممر لإيران في دعمها لحزب الله في لبنان وبناء تحالف معادي لإسرائيل مع حماس، وهو الأمر الذي ساعد على التغطية على عيوب إيران العميق في الشارع العربي..

والاحتمال المتزايد بأن عقوداً من بناء هذا الموقع سوف تنتهي بكارثة، تمثل أعظم خطر على النظام الإيراني منذ فشلها في الحرب العراقية الإيرانية.

وبالفعل، فإن حماس رفضت سوريا ونأت بنفسها عن إيران كما إن حزب الله يفكر بشكل أكبر في حماية موقفه الذي أصبح ضعيفاً بشكل مفاجئ في لبنان عوضاً عن التفكير في النهوض الشيعي الإقليمي.

إن أكثر ما يمكن أن تخشاه إيران الآن قد يتمثل في أن سوريا السنوية التي تشهد فوضى مع وجود الجهاديين وال سعوديين المتطرفين والفصائل المدعومة من قطر، يمكن أن تعود إلى حرب سنية شيعية قد تؤدي إلى جر العراقيين السنة إلى جولة أخرى من الحرب الأهلية هناك.

وهذا الأمر يبدو محتملاً؛ وفي الواقع فإن هناك إشارات على أن هذا الأمر قد بدأ فعلاً.

إن الصراع السنوي الشيعي المشتعل في العراق جاهز للانطلاق، ولكن هذه المرة قد يعول السنة في العراق على الدعم من تركيا، وسوريا الحرة ودول الخليج، بينما لا يستطيع الشيعة التطلع إلى الولايات المتحدة.

وهذا الموقف سوف يثير دون شك صداعاً لإيران، وقد يقود فعلاً إلى ترتيب لتقاسم السلطة في بغداد، وهو ما قد يعني تقليل نفوذ إيران بشكل جاد هناك أيضاً.

بالنظر إلى هذه الأمور مجتمعة مع تشديد العقوبات، فإن النظام الإيراني سوف يكون في موقف صعب جداً دون وجود أي خيارات حقيقة.

ليس فقط المعارضة الديمقراطية، ولكن كلاً من الأقليات العرقية السنوية والشيعية في إيران نفسها (حيث تمثل العرقية الفارسية نصف السكان فقط) قد يصلوا عند تلك النقطة إلى استدعاء الدعم الخارجي مع سعي الأعداء الإقليميين إلى تقليل

إن كلا من لبنان وسوريا والعراق وإيران دول متعددة الأعراق والأديان تفصلها حدود مصطنعة، ومن يدرى ما الذي يمكن أن تبدو عليه الخريطة خلال السنوات العشر أو العشرين القادمة؟

إن لهذا الوضع الخارجي تأثيراته الداخلية، فالigroupات النافذة في بنية السلطة الإيرانية التي تدعم أسلوب المواجهة مع الغرب والتوسيع على امتداد الهلال الخصيب، لا يمكن أن تتجنب فقدان هيمنتها مع ظهور إفلاس رؤيتها الإستراتيجية بشكل جلي.

والمرشد الأعلى وقائد الدولة الإيرانية لا يمكن له أن ينأى بنفسه عن الانتقادات الذي يتعرض له هذا الفشل السياسي، حيث إن لإستراتيجيته التي اتبعتها بصماتها على كل ما يجري.

وعندما رأت في نفسها قوة صاعدة، سعت إيران للوصول إلى "تسوية كبرى" مع الولايات المتحدة تعتمد على التفوق الإقليمي الإيراني، وكل ذلك لم يكن واقعياً وكان من جانب واحد.

ثم إن إيران، مفتراً بنجاحها وفخرها، طورت أفكاراً متضخمة حول سلطتها العالمية التي يمكن أن تكون أساساً لاتفاقيات جادة مع الولايات المتحدة.

والسؤال الآن ما إذا كان باستطاعة قادة إيران إجبار أنفسهم على القبول بمزيد من التسوية الواقعية مع واشنطن فيها نبذ لطموحاتهم النووية وحدود دور إيران الإقليمي، وهو أمر من الممكن أن يسبب نكسة حقيقة للجمهورية الإسلامية.

ليس من مصلحة أمريكا أن تدفع إيران إلى نقطة الانكسار. بغض النظر عما إذا كنا نحب النظام الإيراني أو لا، فإن إيران تعتبر بلداً مهماً لتوازن الشرق الأوسط ولأي جهة تأمل في التوصل إلى استقرار جغرافي سياسي هناك.

إن تسوية معقولة مع إيران يمكن أن تخدم أمريكا أيضاً، ولكن في هذه المرحلة فإن العبء يقع على كاهل القيادة الإيرانية لدراسة موقفها بشكل واقعي، واستخلاص نتائج مناسبة تتوافق على أساسها مع الولايات المتحدة.

وإلا فإن أفضل خيار للسياسة الخارجية الأمريكية يبدو واضحاً:

دفع الأسد للسقوط والضغط على العراق من أجل الوصول إلى سياسية داخلية أكثر عدالة واعتماد سياسة خارجية محايدة ودعم إعادة التوازن الفصائلي في لبنان بطريقة يمكن أن تشجع حزب الله على التحول من سلاح ثوري تابع للسياسة الخارجية الإيرانية إلى حركة سياسية لبنانية لديها أجندات داخلية، إضافةً إلى تضييق خناق العقوبات والاستمرار على خط السلاح النووي.

والمساومة مع إيران الضعيفة يمكن أن يعطي الولايات المتحدة مرونة إستراتيجية مرحباً بها في الشرق الأوسط، كما إن مسارنا الحالي لا يخلو من المخاطر والنكبات.

إن معرفة ما إذا كان المرشد الأعلى يريد أو يستطيع التوصل إلى مثل هذه التسوية يبقى سؤالاً مفتوحاً؛ إن انعكاس هذا المسار سوف يؤدي إلى فرض شكل من أشكال التغيير الجذري للسياسة داخل إيران، وسوف يقاوم بشكل مرير من قبل المجموعات التي تصنف نفسها مع سياسة المواجهة والثورة.

ولكن سواءً أكان الوصول إلى اتفاقية حقيقة ممكنة أم لا، فإنه من مصلحة أمريكا أن تُبقي الباب مفتوحاً، وأن توضح للمؤسسة الإيرانية (بمن فيهم المحافظين والمعتدلين والإصلاحيين وأولئك الذين يريدون مزيداً من التغييرات الدستورية الجذرية) بأن مشكلة أمريكا الأساسية هي مع السياسة الإيرانية وليس مع الدولة أو المذهب الرسمي الإيراني.

التغيير في سياسات إيران يمكن أن يؤدي إلى تغييرات في العلاقات الإيرانية الأمريكية، وهو الأمر الذي سوف يعود بالفائدة على كلا الطرفين.

ورغم ظهور زخم للثوار في سوريا، فإنه لا زال من المبكر جدا القطع بأن الأسد سوف يسقط فعلا. ولدى الثوار مشاكلهم الخاصة، وكلما طال أمد الحرب زادت فرص الانقسام والأخطاء والفشل في تحمل مسؤولياتهم. وما إن تختفي جميع الآمال في إيران في أنه لا الأسد ولا بنيته السياسية يمكنهما الخلاص، عندها فقط فإن الجدل السياسي الحقيقي سوف يبدأ.

أمريكان إنترست

ترجمة: مركز الشرق العربي

العصر

المصادر: